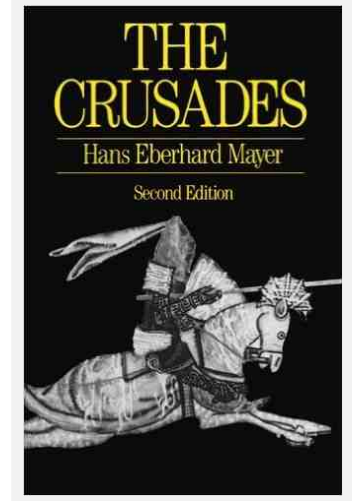




المؤرخ الألماني هانس إبرهارد ماير وكتابه "تاريخ الحروب الصليبية" دراسة تحليلية نقدية

د. شعبان محمد خلف محمد حمزة

كاتب وباحث في تاريخ العصور الوسطى
دكتوراه في تاريخ العصور الوسطى
جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية



بيانات الكتاب

تاريخ الحروب الصليبية
منشورات مجمع الفاتح للجامعات
ليبيا ١٩٩٠

تأليف: هانس إبرهارد ماير
ترجمة وتعليق: د. عماد الدين غانم
تقديم: د. نجاح صلاح الدين القابسي

كلمات مفتاحية:

الدويلات الصليبية، مملكة قبرص، المرأة الصليبية، الأراضي المقدسة، الحركة الصليبية

ثم ترجمت أيضا طبعته السادسة المنقحة سنة ١٩٨٨، وأخيرًا تم ترجمته للغة العربية مع مقدمة للدكتوراة نجاح القابسي، (منشورات مجمع الفاتح للجامعات) سنة ١٩٩٠.

آراء المؤرخين في الكتاب ومؤلفه

تقول د/ نجاح القابسي إن موضوعات كتاب: "تاريخ الحروب الصليبية" لهانس إبرهارد ماير تتسم بالشمول، حيث يبدأ الكتاب بدراسة الدعوة للحروب الصليبية، وقد بين من خلالها العلاقة بين الصراع العربي الأوروبي على الأراضي الأندلسية ودور هذا الصراع في ظهور تلك الدعوة.

كما أوضح "ماير" كذلك دور الكنيسة في بلورة الفكرة الصليبية، وفي الأخذ بعقيدة صكوك الغفران باعتبارها من الوسائل المساعدة في إذكاء الحماس الصليبي، وبين "ماير" أيضًا المراحل التي مرت بها الدعوة والوسائل التي اعتمدت عليها، ثم انتقل بعد ذلك لدراسة الحملة الصليبية الأولى بالتفصيل ثم تناول بقية الحملات وظروف إعدادها سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، ثم ردود الفعل العربية الإسلامية تجاه هذه الحملات. ثم تعرض "ماير" بعد ذلك للكيانات الصليبية وأوضاعها الداخلية والعلاقات الصليبية الصليبية، والصليبية الأوروبية، والصليبية

المؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو "هانس إبرهارد ماير" الذي يُعدّ ولا ريب - وكما تذكر الدكتوراة/ نجاح القابسي صاحبة التقديم لهذا العمل من أكبر المختصين الألمان في دراسة الحروب الصليبية، حيث يشغل كرسي التاريخ الوسيط بجامعة كيل بألمانيا الغربية، وقد كرس الشطر الأوفر من حياته لدراسة هذه المرحلة الهامة من تاريخ أوروبا والشرق الإسلامي، إذ أنه نشر منذ حوالي ثلاثة عقود ثبنا وافية بالكتب والأبحاث التي صدرت باللغات الأوروبية حول الحروب الصليبية، أضاف إلى ذلك العديد والعديد من الموضوعات التي تدور في ثنايا الحروب الصليبية مثل كتابه: "الصليبيون والشرق اللاتيني" وكذلك كتابنا موضوع الدراسة التحليلية النقدية: تاريخ الحروب الصليبية" الذي أتم كتابته في ستينات القرن العشرين.

الكتاب

حظي كتاب: "تاريخ الحروب الصليبية للألماني" هانس إبرهارد ماير" منذ صدوره على اهتمام الأوساط العلمية الألمانية، وكذلك الأوروبية وليس أدل على ذلك من تكرار طبعته إلى ست طبعات منذ سنة ١٩٦٥ وحتى سنة ١٩٨٥، وترجم إلى الإنجليزية سنة ١٩٧٢م،

إيطاليا، ثم ألبانوس، وسعى الإمبراطور الكسبيوس لاسترداد أملاكه الضائعة.

تناول المؤلف أيضًا في هذا الفصل حركة الفتوح الإسلامية في المغرب وأسبانيا وصقلية، وتحدث أيضًا عن السنة والشيعية والخلاف بينهما، وانقسام الشيعة إلى فرق، كان منها الإسماعيلية. ثم قيام الدولة الفاطمية في الشمال الإفريقي، ثم ظهور الحشاشين، وضعف العرب، وظهور الأتراك خاصة السلاجقة الذين أسسوا دولة لها تمتد من خراسان عبر إيران حتى القوقاز وتشمل غربًا وجنوبًا بلاد ما بين النهرين، وسوريا وفلسطين حتى الحجاز، ثم توجهوا بعد ذلك لمحاربة البيزنطيين والقضاء عليهم بخطوات ثابتة، ونتيجة لهذا وقعت الكنيسة الأرثوذكسية في الأناضول - وكما يقول المؤلف - في ضيق، وتعثرت حركة الحجاج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين بطريق البر.

ثم يعود المؤلف ليتحدث بعد ذلك عن انقسام السلاجقة على أنفسهم إذ خرج منهم سلاجقة الروم، ثم عاد المؤلف ليتناول مرة أخرى وفاة البابا جريجوري السابع سنة ١٠٨٥ م، ثم فيكتور الثالث حتى اعتلاء البابا أوربان الثاني الكرسي البابوي (١٠٨١ - ١٠٩٩)، وهو البابا الأكثر حنكة من سلفه البابا جريجوري السابع، حيث عمل على تحسين علاقته مع الإمبراطور البيزنطي الكسبيوس الأول حتى أن الأخير قبل إمداد الغرب له والبابوية بفرق من المرتزقة لتساعده في الوقوف متصديًا لهجمات السلاجقة على بلاده، غير أنه فوجئ بجيوش جرارة تقتحم عليه ملكه.

الفصل الثاني: "قيام الحروب الصليبية"

في هذا الفصل تناول المؤلف افتتاح البابا أوروبا الثاني لمجمع كليرمونت الكنسي، وما تضمنه هذا المجمع من قضايا كنسية داخلية ثم تعرض للخطاب الذي ألقاه البابا أوربان الثاني داعيًا لرفع راية الصليب، ومحاربة المسلمين وكيف أن الفرنسيين استجابوا لهذا النداء.

وبين ثنايا سطور هذا الفصل يعود المؤلف وكأنه قد نسي أن يعرف لنا أو يعطى لنا المدلول الذي تعنيه كلمة القدس في الغرب، وما فيها من بريق وسحر ولمعان جذب إليه قلوب الناس، ويربط هذا بالعلامات والظواهر الطبيعية التي صاحبت قيام الحملات الصليبية، كظهور الجراد، وهبوط النجوم، وكيف كان للخرافات من تأثير خطير على عقول وقلوب العامة والبسطاء والجهلاء من الناس في الغرب الأوروبي.

شرح لنا المؤلف فيما شرح بكتابه "تاريخ الحروب الصليبية" في فصله الثاني: الحج وأهميته لدى المسيحيين، خاصة بعد بناء الأديرة والكنائس وتزايد أعدادها في الشرق، وما صاحب هذا أيضًا من تزايد في أعداد الحجاج، ورغم الصعوبات الكثيرة التي قد يواجهونها في الطريق.

ثم يوضح لنا المؤلف أيضًا الفرق بين الحج والحملة الصليبية، حيث يقول أن المشاركة في الحملة الصليبية يتميز عن الحج

البيزنطية، والصليبية الأرمينية، والصليبية المغولية، وظروف ضعف هذه الكيانات بعد ذلك، وطرد الصليبيين من الساحل الشامي، واستقرارهم في قبرص ورودس واليونان.

وعلى هذا فإن الكتاب برغم المميزات العديدة فيه، إلا أنه بقي كتابًا يعبر عن النظرة الأوروبية إلى الحروب الصليبية، ويدعونا إلى التفكير في المواضيع المهمة التي لم تجد الاهتمام الكافي حتى الآن من جانبنا مثل:

(١) مقومات حركة الجهاد ضد الغزو الصليبي، وتطورها اعتمادًا على كتب الجهاد والكتب العسكرية التي ألفت خلال تلك الفترة والعلاقة بين حركة الاسترداد في الأندلس والحركة الصليبية.

(٢) دور المغاربة في مقاومة الغزو الصليبي.

(٣) الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وأثرها في مقاومة الغزو الصليبي.

(٤) الوحدة العربية الإسلامية ودورها في القضاء على الكيانات الصليبية.

(٥) أما عن رأي الدكتور/ نجاح القابسي في أفكار "ماير" فإنها تقول:

١/٥- إن آراء "ماير" متوازنة بعيدة عن التعصب المخل والعنصرية. ٢/٥- رجوع "ماير" إلى المصادر العربية وهذا بالطبع أضفى على الكتاب أهمية كبيرة.

٣/٥- نجاح "ماير" في كثير من الأحيان في تحديد الصيغة العربية لأسماء الشخصيات الصليبية والأوروبية، وهو ما أضاف قيمة علمية للكتاب.

عرض لما تناوله المؤلف في كتابه:

نلاحظ أن كتاب "تاريخ الحروب الصليبية" قد قسمه مؤلفه "هانس إبرهارد ماير" إلى ثلاثة عشرة فصلاً: تناول خلاله فترة الحروب الصليبية منذ بدء الدعوة لها، وحتى نهايتها وخروج الصليبيين من عكا سنة ١٢٩١ م.

الفصل الأول:

حوض البحر الأبيض المتوسط حوالي سنة ١٠٩٥ م وهو أشبه بدراسة مختصرة عن أحوال أوروبا فترة ما قبيل قيام الحروب الصليبية، متمثلةً في الإمبراطورية الرومانية الغربية (ألمانيا) والإمبراطورية الرومانية الشرقية (القسطنطينية)، والبابوية في روما، وأحوال الكنيسة والصراع الذي دار بين الإمبراطور هنري الرابع (١٠٥٦ - ١١٠٥ م) والبابا جريجوري السابع، وبين البابوية وملوك إنجلترا وفرنسا، والنورمان في الجنوب الإيطالي.

وقد أشار المؤلف كذلك إلى الحملة التي كان ينوي البابا جريجوري السابع أن يقوم بها لنجدة الإمبراطورية الشرقية (القسطنطينية) من هجمات السلاجقة، وتحدث المؤلف عن ثورة الإمبراطور البيزنطي الكسبيوس الأول (١٠٨١ - ١١١٨ م)، واعتلاءه لعرش بيزنطة، وهجوم الثوار على باري آخر قاعدة بيزنطية في

والفرسان فقد قام لأغراض متنوعة، ما بين دينية واقتصادية واجتماعية وسياسية.

الفصل الثالث: الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦ - ١٠٩٩م)

وهذا الفصل تناول فيه "ماير" اجتماع البابا أوربان الثاني في مدينة كليرمون الفرنسية، واختياره لـ "ادهيمارلوي بوي" Adhemar Van le Puy قائدًا روحيًا للحملة الأولى، "وريمون الرابع كونت تولوز" قائدًا عسكريًا وتحديده ليوم الخامس عشر من أغسطس سنة ١٠٩٦م موعدًا لانطلاق الحملة الصليبية نحو الشرق ثم مواصلة البابا أوربان بعد ذلك لنشاطه الدعائي للحملة في كافة الأجزاء الأوروبية وإرسال الأساقفة لانجلترا وألمانيا وجنوب إيطاليا. وبعدئذ ينتقل بنا المؤلف ليعرض لنا قصة ظهور بطرس الناسك، ومن ثم التعريف به، ودوره في تجمع العامة من الصليبيين حوله بفضل نبوءاته وانطلاقه بهذه الجموع من منطقة الراين تجاه الشرق مرورًا بالمجر وبلغاريا فالقسطنطينية، ومن قبله كان والتر المفلس أحد أتباع بطرس الناسك.

ثم يذكر "ماير" أيضًا أن بطرس الناسك بفضل فصاحته قد جمع العديد من الألمان حوله، ودفع بثلاث فرق تحت قيادة جوتشالك، وفولكمار، وأميكو لينغين للتوجه شطر بيت المقدس، لكن هذه الفرق قد أبيدت على حدود المجر، بعدها يسرد لنا وصول حملتي والتر المفلس وبترس الناسك لبيزنطة، ومن ثم عبورهما إلى آسيا خلال مضيق البسفور، وبمساعدة البيزنطي ألكسيوس كومنين، وتعرضهما للإبادة من قبل السلاجقة، ولم ينج منهم إلا القليل من ضمنهم بطرس الناسك الذي فر عائداً إلى القسطنطينية، ثم فشل حملة العامة تلك.

وأصبح الأمل معقود على حملة الفرسان متمثلةً في حملة الأمير "جودفري دي بوايون" فرنسي الجنسية، وهنا شرح "ماير" التعريف به، ومن صحبه في الحملة، والطريق الذي سلكه وصولاً إلى بيزنطة مركز تجمع القوات الصليبية، ثم تعرض للكونت هيو فرماندوا، وبوهيمند النورماني، وريموند تولوز، وروبرت النورماني، وروبرت الثاني كونت فلاندرز، وكيف أنهم ساروا متخذين طريقاً مغايراً لجيش جود فري دي بوايون، وهو طريق أجناتيا، وتناول المؤلف الشخصيات البارزة التي اشتركت في الحملة كزوجات الأمراء، وأخواتهم، وما تعرضوا له من مخاطر طوال الطريق حتى وصلوا لبيزنطة، والعلاقة بينهم وبين الإمبراطور البيزنطي "الكسيوس كومنين"، ومن ثم عبورهم لآسيا، بعد أزمة الشكك التي أنتابت الجانبين البيزنطي والصليبي، وإصرار بعض الفرسان الصليبيين على عدم حلف اليمين للإمبراطور البيزنطي "كريمون كونت تولوز" الذي لم يحلف اليمين إلا تحت وساطة القادة والمندوب البابوي أدهيمار على أن يحترم شخص الإمبراطور وممتلكاته.

بعد ذلك يحدثنا "ماير" عن تحرك جود فري دي بوايون والنورمان في نهاية إبريل سنة ١٠٩٧م من بلكانوم، نحو نيقية. عاصمة السلطان السلجوقي، "قليج أرسلان" - ذات الموقع

بسلحها، وأما الحملة الصليبية فلم تكن في أساسها سوى حج مسلح ذي امتيازات روحية خاصة تقترن بغفران خاص، وعليه فإن الحملة الصليبية هي تطوير محكم لفكرة الحج. وأن قيام الصليبيين بتلك الحملات كان نابغاً عند البعض من الفكرة القائلة بأن الأراضي المقدسة، ومخلفات السيد المسيح هي في أيدي المسلمين، ولا بد من تخليصهما.

وعلى هذا ينتقل بنا المؤلف ليشرح لنا الأحوال الدينية والإقطاعية في أوروبا، وعن أقدمية فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين في الأراضي المقدسة، منذ عهد البابا سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م)، ثم يعود المؤلف ويشير إلى حروب النورمان والمسلمين، ثم حرب المسيحيين ضد مسلمي الأندلس، وكيف أن الحروب في الأندلس قد أثرت على قيام الحملات الصليبية كجزء من العمل الأوروبي المشترك لصدد الإسلام، حتى أن البابوات اعترفوا بعد ذلك بجهد المسيحيين في محاربتهم للمسلمين في الأندلس واعتبروه حرب صليبية كالتى بالقدس.

في هذا الفصل أيضاً استعرض هانس إبرهارد "ماير" ما اعتبره سبباً من أسباب قيام الحملات الصليبية، ألا وهو ضعف الإمبراطورية أمام الهجمات القوية للمسلمين، خاصةً بعد هزيمة مانزكرت سنة ١٠٧١م.

أضف إلى ذلك فكرة التوحيد التي وجدها البابا أوربان الثاني فرصة يجمع فيها كل الأطراف المتنازعة كالبيزنطيين والنورمان والألمان وأوضح أن العامة إذا كانت الخرافات قد جذبهم للاشتراك في الحملات الصليبية، فإن الأمراء والفرسان شدهم إليها أيضاً عوامل الجذب الاقتصادي والعوامل الاجتماعية - التي كان يحياها أهل الغرب الأوروبي - وكذلك حب المغامرة لدى الفرسان للحصول على مراكز أكثر أهمية.

أضف إلى ذلك تدهور الزراعة، وتزايد أعداد السكان، والصراع بين أبناء الفرسان على الإرث، إذ أن المؤلف قد بين لنا صور وأشكال نظام الإرث في شمال فرنسا وإيطاليا، وجنوب اللوار. وهنا اعتبر المؤلف أن المشاركة في الحملات الصليبية تمثل مجالاً رحباً خلال القرن الثاني عشر لهؤلاء الأمراء والفرسان، حيث توفرت لهم الفرصة الحقيقية للخلاص مما هم فيه، والخروج من وضع القهر في جماعة الأسرة والرغبة بحياة حرة، ولعل هذا - وكما يذكر "ماير" - ما دفع بالكثير من الأمراء والفرسان إلى التطوع في الجيش الصليبي.

وفي صورة من صور الدراما التراجيدية يسرد لنا المؤلف مسألة صك الغفران، وأثرها على حياة الفرد ومدى أهميتها، إن سافر للشرق في حملة صليبية حتى تغفر ذنوبه وتنتهر، وبهذا يعتبر أن صك الغفران استعمل في القرن الثالث عشر الميلادي لأجل أهداف سياسية وعقوبات التوبة والتبرئة وعقوبات الذنوب، ثم يشير إلى أن من قام بالحملات الصليبية سواء من العامة أو من الأمراء

الاستراتيجي التي وصل إليها في ٦ مايو ١٠٩٧م حيث أحكموا حولها الحصار، ويوضح لنا "ماير" هنا أن قليج أرسلان" لم يأخذ الصليبيين عندما سمع بمقدمهم على محمل الجدية بعد تجربته مع جموع بطرس الناسك، ولكن بعدما تحقق من الأمر، وقرر التقدم لمقاتلتهم ومقاومتهم، لقي هزيمة كبيرة على أيديهم، حيث فات الأوان.

وبين لنا "ماير" أيضًا أن قادة الجيوش الصليبية ساروا عبر الأناضول إلى أنطاكية في مسيرة ٤ أشهر عانوا فيها نقص الماء والغذاء وأن الطرق التي ساروا من خلالها طرق كانت بالنسبة لهم مجهولة وأضحوا بذلك في حاجة ماسة لقيادة موحدة إذ أنهم كانوا دائمي التنازع، ومن ثمَّ فقد قسموا أنفسهم لمجموعات.

وفي ٢٩ يونيو اصطدمت مجموعة منهم، وهي مجموعة بوهيمند بقوات "قليج أرسلان"، وفي فجر اليوم التالي وقعت المعركة وهجم السلاجقة من جميع الجهات، وقد استفادوا من سلاحهم الخفيف، ومن خفة حركتهم بحيث لا تتمكن صفوف الفرسان المثقلين بالدروع من مهاجمتهم، وبذلك أحاطوا النصارى بسهامهم من كل جهة، ومن ناحية أخرى لم تكن قوتهم كافية لاختراق الصفوف التي رصها بوهيمند بصلاية، وقد فاجأ الأتراك الظهور المباغت للفرقة الثانية بقيادة جود فري دي بوايون، وريمون تولوز، التي بلغها الأمر عن طريق بوهيمند، وحسمت المعركة للصليبيين ووقع المعسكر السلجوقي في أيديهم.

ثم يتابع "ماير" بعد ذلك تقدم الصليبيين حتى بلوغهم أنطاكية ثم طرابلس، وبيت المقدس، وكيفية استيلائهم عليهم، ثم يوضح لنا في وصف رائع دخول الصليبيين المسجد الأقصى، والمذبحة الرهيبة التي افتعلها الصليبيون، ثم المنازعات بين القادة الصليبيين على تولي المناصب، بعد احتلالهم المدن الإسلامية، وقضاء الصليبيين على الجيش المصري بقيادة الوزير الأفضل قضاءً مبرماً.

الفصل الرابع: الدويلات الصليبية (١٠٩٩ - ١١٤٦م)

وهو فصل حدثنا فيه "ماير" عن الوصف الجغرافي للمناطق التي احتلها الصليبيون، ثم مناخ المنطقة، وأحوالها تحت أيدي الصليبيين، ودور الجمهوريات الإيطالية كبيزة، والبندقية وأساطيلهم في الاحتلال الصليبي للبلاد الإسلامية، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك نحو وفاة جودفيري دي بوايون ملك بيت المقدس، وتولية أخيه بلدوين خلفاً له، ثم أثر نجاح الحملة الصليبية في الشرق، حيث استيقظت الروح الصليبية لدى أهل الغرب الأوروبي، حتى حملوا صلبانهم واتجهوا ناحية الشرق الإسلامي، مثل ولف الرابع كونت بافاريا، وكونتيسة النمسا "إيدا" أرملة لوتيبولد الثاني، والمؤرخ اكهارد وغيرهم، وقد ذكر "ماير" أنهم ساروا نحو بيزنطة ثم هرقلية لكن السلاجقة أوقعوهم في كمين وقتلوهم أو أسروهم.

بعدها يستعرض "ماير" حملة بوهيمند أمير أنطاكية عام ١١٠١م، ويذكر أن الصليبيين انتصروا وتغلبوا على المسلمين إلا لضعف الآخرين وانفراط عقدهم، ثم يحدثنا بعد ذلك عن النزاع

الصليبي الصليبي، والتآلف بين الصليبيين والمسلمين، ثم يتكلم عن الفاطميين وضعفهم، والهيئات العسكرية الصليبية كالاستبارية ونزاع الصليبيين على الإرث، والدور الاقتصادي لجنوه وبيزه والبندقية، حتى تسلم عماد الدين زنكي راية الجهاد ضد الصليبيين، ثم ينتقل للحديث عن الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنين (١١١٨ - ١١٤٣م)، وحملاته على الأناضول وشمال الشام الإسلامية مرة أخرى، ووفاته زنكي وتولية خلفاءه وهم ابنه الأكبر سيف الدين غازي في الموصل، ونور الدين محمود في حلب.

الفصل الخامس: الحملة الصليبية الثانية (١١٤٥ - ١١٤٩م)

يحدثنا المؤلف "هانس إبرهارد ماير" في الفصل الخامس من كتابه: "تاريخ الحروب الصليبية" عن سقوط الرها في أيدي المسلمين وأثره على الغرب الأوروبي، ومن ثمَّ الدعوى لحملة صليبية ثانية، على يد البابا إيوجينيوس الثالث، وتكليفه للقديس برنارد رئيس دير كليرفو بنشر الدعوة الصليبية في كافة الأرجاء الأوروبية، ثم استجابة الملك الألماني "كونراد الثالث" والملك الفرنسي لويس السابع" للقيام بحملة صليبية على الشرق.

ثم يروي لنا "ماير" بعد ذلك كيفية الاستعداد الألماني والفرنسي للحملة الصليبية، ثم الاتفاقيات التي تمت بينهما وبين البيزنطيين لأجل ذلك، فانطلاق الحملة الألمانية بقيادة كونراد الثالث وتوجهها من ألمانيا ومرورها بالنمسا، ثم المجر، فبلغاريا، ثم القسطنطينية، واستقبال الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين لها، وعبورها لآسيا الصغرى حتى وصولها إلى نيقية.

ثم ينقلنا "ماير" في صورة رائعة إلى تحرك الفرنسيين بقيادة الملك الفرنسي لويس السابع واتخاذهم للطريق البري الذي سار فيه الملك الألماني، وعبوره المجر ثم بلغاريا فالقسطنطينية، والتقاؤه بالإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين، ٤ أكتوبر ١١٤٧م. والعلاقة التي ربطت بين الجانبين الفرنسي والبيزنطي وتصرفات الفرنسيين حيال الأراضي البيزنطية، ثم عبورهم لآسيا الصغرى، حتى وصولهم إلى عكا، مركز تجمع القوات الصليبية مع الجيش الألماني بقيادة كونراد الثالث، وعقدتهم اجتماعاً للعمل على وضع خطة عسكرية للتحرك تقضي بتوحيد حلب ودمشق، وعزمهم على الإعلان عن مهاجمة دمشق أولاً، وتحركهم ومحاصرتهم لدمشق، وما وقع للجيش بعد ذلك من فشل الحصار ودعوة الملك الألماني والفرنسي دون طائل يذكر، حيث مرورهم بالأراضي البيزنطية ومقابلتهم للملك البيزنطي مانويل الأول كومنين، وعرض الملك الألماني كونراد الثالث عقد تحالف مع البيزنطي مانويل ضد النورمان. العدو اللدود والمشارك وكان هذا ما أنهى به هانس أبرهارد "ماير" فصله الخامس عن الحملة الصليبية الثانية.

الفصل السادس: الدويلات الصليبية (١١٤٩ - ١١٨٧م)

بين "هانس إبرهارد ماير" في هذا الفصل توزيع إرث زنكي بعد وفاته سنة ١١٤٦، بين أبناءه سيف الدين ونور الدين، ثم تحالف الأخوان ضد الصليبيين ومقاومتهم للحملة الصليبية الثانية، وبعد

انتهاء الحملة الصليبية وفشلها عاد نور الدين محمود للعودة مرة أخرى لمقاومة الصليبيين في أنطاكية، مع الأخذ ببناء المدارس والجوامع لنشر المذهب السني، ونبد المذهب الشيعي ثم عمله على نبذ التحالف بين دمشق والصليبيين حتى دخوله دمشق، وترحيب الناس به، وكيف أن نور الدين محمود أضحى خطرًا على الصليبيين.

بعدها يصور لنا "ماير" الملك بلديون الثالث وأمه مليزا ثم يصف لنا بلديون الثالث من حيث الشكل والجسم، وسياسته تجاه المسلمين والصليبيين. ثم زواج أميرة أنطاكية كونستانس أميرة أنطاكية من رينالد دي شاتيون، ووفاة بلديون الثالث وتوليته خلفه الملك عموري الأول وسياسته الداخلية والخارجية خاصة حملاته على مصر والصراع بين شاور. وضرغام، ثم موت عموري وظهور صلاح الدين الأيوبي، وتوحيد كلمة المسلمين ومقاومة تهديدات رينالد دي شاتيون أو أرناط وقتله، ثم يحدثنا كذلك عن تولية بلديون الرابع بعد وفاة عموري الأول. وسياسته داخليًا وخارجيًا حتى وفاته، ثم موقعة حطين والاستعداد الصليبي لها، والإسلامي كذلك، وكيفية نجاح المسلمين في هزيمة الجيش الصليبي هزيمة ساحقة في هذه الموقعة، وتغير أوجه السياسة الخارجية للمسلمين لتقف موقف القوة، وأثر تلك الهزيمة وانتصار المسلمين من حيث تمكن صلاح الدين من استرجاع بيت المقدس لحظيرة المسلمين مرة أخرى سنة ١١٨٧م. ورد فعل تلك الأحداث على صليبي الشرق والغرب على السواء.

الفصل السابع: الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٧ - ١١٩٢م)

في هذا الفصل أشار "هانس إبرهارد ماير" إلى النزاع بين البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة في الفترة من (١١٥٩ - ١١٧٧م)*، ثم يتعرض بعد ذلك لأهمية القدس، وأثر سقوطها في الأوساط الأوروبية، وتتابع وصول السفارات لأوروبا بعد وقعة حطين، والدعوة للحملة الصليبية الثالثة، واستجابة كل من الملك الألماني فردريك الأول ببروسا، والملك الفرنسي فيليب أغسطس والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وأعدادهم للتحرك شطر الأراضي المقدسة، وكان أول من تحرك بحملة الإمبراطور فردريك الأول ببروسا حيث اتخذ الطريق البري المار عبر النمسا، ثم المجر، فبلغاريا، فالقسطنطينية وقد تحدث "ماير" هنا عن العلاقة التي ربطت بين فردريك الأول ببروسا وإمبراطور بيزنطة اسحق انجليوس، ومخاوف كل منهما من الآخر، والعراقيل التي وضعها الإمبراطور اسحق للجيش الصليبيين مما دعا فردريك بدعوة ابنه هنري السادس للإعداد لحملة عن طريق البحر لحصار القسطنطينية ثم عبور الإمبراطور فردريك الأول ببروسا لمضيق البسفور تجاه آسيا الصغرى، ثم غرقه في نهر سالف، ونهاية حملته وتشتت جيشه بين من تابع تقدمه نحو الشرق، وبين من رجع لبلده أو البلدان الأخرى.

بعد ذلك يروي لنا "ماير" ما حدث من تقدم الجيشين الفرنسي والإنجليزي عبر الطريق البحري، حتى وصولهما لعكا، ومن ثم التوجه لاستعادة بيت المقدس، والدخول في عدد من العمليات العسكرية مع القوات الإسلامية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، ثم الصراع بين الصليبيين أنفسهم مما أدى إلى عودة الملك الفرنسي لبلاده دون تحقيق طائل، بعده عاد أيضا الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده عن طريق النمسا، بعدما عقد صلح مع صلاح الدين الأيوبي عرف بصلح الرملة، ثم وفاة صلاح الدين الأيوبي وهنري السادس بمسينا بعد قيامه بحملة صليبية فاشلة نحو الشرق الإسلامي.

الفصل الثامن: تطور الدويلات الصليبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر

وقد تكلم فيه "ماير" عن زيارات الرحالة للأراضي المقدسة، وما سجلوه من أحداث ومرويات عن هذه الأماكن، وعن نشأة الإقطاع في مملكة بيت المقدس، وعن السكان الصليبيين وتوطنهم، وتقسيم السكان الصليبيين لطبقات فجعل الطبقة البرجوازية المكونة من النبلاء والبارونات هي الطبقة العليا، ثم حدثنا "ماير" بعد ذلك عن العادات والتقاليد في المجتمع الصليبي ببلاد الشام، والزواج وتقاليد وطقوسه ومراسيمه سواء للنبلاء والعامّة، وتحدث كذلك عن البلاط الصليبي ومراسيمه ووظائفه.

ثم وضع المرأة الصليبية ببلاد الشام، ثم حدثنا عن النظام المالي الملكي والأوضاع الاقتصادية للصليبيين، ورجال الدين والمحاكم والتنظيم الكنسي في المدن الكبيرة والريف والعلاقة بين الكنائس الشرقية بعضها ببعض، وعن الجاليات الإيطالية والتجارة والتجار، والسوق والبضائع، ثم تطرق "ماير" بعد ذلك إلى اهتمامات الملوك بقراءة التاريخ كما يقول وليم الصوري، والاهتمام بالكتب وتزويقها والناسخون، وغير ذلك.

الفصل التاسع: الحملة الصليبية الرابعة (١١٩٨ - ١٢٠٤م)

اليونان تحت حكم الإفرنج (١٢٠٤ - ١٣١١)

في هذا الفصل حدثنا "ماير" عن الحملة الألمانية الصليبية التي قام بها الملك هنري السادس من قيل، ثم تطرق للحديث عن الدعوة للحملة الصليبية الرابعة، ودور البابا أنوسنت فيها، ثم الاتفاق الذي وقع بين الصليبيين والبنادقة لنقلهم للأراضي المقدسة، ومن ثم رحيلهم، ثم تحول الحملة عن مسارها للهجوم على مدينة زارا، بعدما غرر البنادقة بالصليبيين، والنهب والسلب الذي وقع بالمدينة جراء هذا الهجوم، ثم تناول "ماير" بعد ذلك التحول الثاني للجيش الصليبي من مدينة زارا إلى مدينة القسطنطينية واحتلالها بدلا من التوجه نحو الأراضي المقدسة.

وما أوقعه الصليبيون والبنادقة بأهل القسطنطينية والمدينة ثم عرض موقف البابوية من هذا الاحتلال، وتحول الحملة الصليبية الرابعة عن مسارها، والولايات اليونانية مثل أيبروس - ونيقية - وطرايزون - وتكونها وملوكها وسياستها، وعن الامبراطور يوحنا

الثالث فاتانس (١٢٢٢ - ١٢٥٤م) ثم نهاية السيطرة اللاتينية على القسطنطينية على عهد ميخائيل الثامن بلايولوغوس (١٢٥٩ - ١٢٨٢م) وعن الإقطاعات اليونانية.

الفصل العاشر:

الحملة الصليبية ١٢١٢ الحملة على دمياط (١٢١٧ - ١٢٢١م)

حدثنا "ماير" عن أن الحماس الصليبي في الغرب لم يضم بعد استسلام الدويلات اللاتينية في اليونان من أجل الحملات الصليبية. ولهذا قامت الحملة التي عرفت بحملة الأطفال والتي قام بها أطفال من ألمانيا وإيطاليا، ومصير هذه الحملة ونهايتها ثم دعوة البابوية لحملة صليبية جديدة حيث وجه النداء للألمان، وإمبراطورهم فردريك الثاني الذي كان لانشغاله بالحرب مع أوتو الرابع أثر في تأجيل الدعوة، وعدم تلبية، وكذلك انشغال ملكي فرنسا وإنجلترا بصراعهما أيضا مما منع مسيرتهما. لكنه أشار إلى حملة جان دي برين على دمياط، وما قام به الصليبيون من دخول دمياط ومهاجمة برج السلسلة ثم مقاومة القوى الإسلامية بقيادة الملك الكامل محمد لها، ونهاية الحملة الصليبية الخامسة وفشلها وأثر ذلك في توحد كلمة الأيوبيين.

الفصل الحادي عشر: حملة فردريك الثاني (١٢٢٨ - ١٢٢٩م)

يستعرض لنا "ماير" في هذا الفصل قرار الحرمان الذي ناله الإمبراطور الألماني فردريك الثاني لعدم تلبية دعوة البابا للقيام برفع راية الصليب ومحاربة المسلمين، واعتبروا أنه السبب في الحملة الصليبية الخامسة، ثم يحدثنا "ماير" عن استعداد فردريك وخروجه في الحملة الصليبية التي عرفت بالسادسة، ومقابلة الملك الكامل محمد، والاتفاقيات التي جرت بينهما، وحصول فردريك على مفاتيح بيت المقدس دون أية حرب بينه وبين المسلمين وأثر ذلك على المسلمين، وكذلك البابوية وأهل الغرب الأوروبي، وما ناله فردريك من الحفاوة في بلده بسبب ذلك حتى أصبح يعرف بابن الكنيسة المحبوب.

الفصل الثاني عشر: مملكة قبرص حتى ١٤٨٩م والدويلات الصليبية (١١٩٢ - ١٢٤٤)

عرض لنا "ماير" تاريخ مملكة قبرص وفرسانها وحكامها ودورها السياسي حتى سقوط عكا ١١٩٢م. وحكام قبرص في عكا الصليبية، وما كانت عليه مملكة قبرص من المكانة الاقتصادية بعد وقوع عكا في أيدي المسلمين وخروج الصليبيين من بلاد الشام ثم شرح لنا كيفية احتلال المماليك لجزيرة قبرص ١٤٢٦، وأحوالها على أيديهم وحتى العصر العثماني بإيجاز.

الفصل الثالث عشر: الدويلات الصليبية (١٢٥٤ - ١٢٩١م)

وكان هذا آخر فصل من فصول كتاب "تاريخ الحروب الصليبية" لهانس إبرهارد ماير" حيث أشار فيه عن حملة لويس التاسع عشر على الشرق، وهزيمته ووقوعه في الأسر، ومن ثم رحيله إلى عكا، ثم إلى بلده فرنسا بعد سقوط عكا سنة ١٢٩١م، ثم وفاة هنري الأول ملك قبرص وآل أبلين والحرب الأهلية الطاحنة في

قبرص، والملك هيثوم الأول وحرب المغول، ثم تحدث عن السلطان بيبرس وبروزه كأهم شخصية من شخصيات العصر المملوكي، وسياسته تجاه الصليبيين في بلاد الشام وحروبه في إنطاكية، ثم وفاة بيبرس في دمشق، والهدنة التي وقعت بين الصليبيين والأرمن والمغول ١٢٧٥م، ثم زحف قلاوون على عكا وسقوطها ١٢٩١م.

في ضوء ما عرضناه "لهانس إبرهارد ماير" وكتابه "تاريخ الحروب الصليبية" يمكن القول أنهما حملا ميزات عدة كان منها:

- أن "هانس إبرهارد ماير" أجاد كمؤرخ ألماني في سرد أحداث الحروب الصليبية على مدار تاريخها الطويل.
- تميز أسلوبه بالسلاسة والوضوح وسهولة العرض.
- إجادته في تحليل الكثير من المواقف والمعارك العسكرية.
- ذكره الدقيق لأسماء القادة والنبلاء والملوك والأماكن والبلدان بدقة متناهية سواء في الغرب أو الشرق.
- عدم المبالغة في كثير من الأحيان.
- تبين أيضًا من خلال هذا العرض أن "هانس إبرهارد ماير" كمؤرخ ألماني مسيحي تمتع في كثير من الأمور بعدم التحيز لجانب بعينه سواء الصليبيين أو المسلمين، وإنصافه كثيرا للجانب الإسلامي، وليس أدل على ذلك مما ذكره في الفصل الأول من كتابه أثناء حديثه عن معاملة السلاجقة المسلمين لمسيحي الشرق، حيث ذكر ما نصه: "إنه لم يثبت أبدًا أن السلاجقة قد ضغطوا على المسيحيين الشرقيين، كما تزعم المصادر الغربية، إذ لم يعامل المسيحيون في المناطق التي سيطر عليها السلاجقة معاملة تختلف عن معاملة المسيحيين في ديار الإسلام، حيث ينظر إليهم كأقلية تخضع لحماية الشريعة الإسلامية، وتدفع الجزية، ولها حق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية محدودة، وأن ما جرى للمسيحيين أثناء الاحتلال يتعلق بسير الحرب، وقد تعرضت له جميع طبقات السكان.. وعندما يركز البابا أوربان الثاني على ملاحقة المسيحيين الشرقيين، وتحذو حذوه حركة الدعاية للحملة الصليبية، فإنما يعود هذا إلى جهله بحقيقة الواقع أو إلى هدف إيقاظ الأحقاد في أوروبا".
- تحرى "ماير" الصدق في كثير من المواقف، وذكره لما يعرفه فقط، وما لا يعرفه يقول عنه أنه لا يعرفه أو أن معلوماته فيه قليلة مقتضبة، وليس أدل على ذلك مما جاء في الفصل الثاني عشر من كتابه، حيث قال: "إن معلوماتنا حول تطور الدويلات الصليبية في الساحل الشامي ليست بنفس الجودة التي كانت عليها قبل ١١٩٢، لقد ضاعت مجموعات كثيرة من الوثائق، ولم يتوفر لنا تاريخ مثل ذلك الكتاب الذي ألفه وليم الصوري".
- استخدام "ماير" تبتا جيدًا للمصادر والمراجع مع وجود الخرائط وكشفًا للإعلام، وهذا ما يضيفي على الكتاب أهمية خاصة.

• إن كان المعلومات التي ذكرها "ماير" في كتابه تعبر عن وجه نظره كمؤرخ ألماني، إلا أنها - وكما أعتقد - لا تعبر بالضرورة عن رؤية ووجهة نظر الألمان في الحروب الصليبية وتجاه المسلمين عمومًا.

إن كانت هذه ميزات تميز بها "ماير" في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" فإن هناك عدد من المآخذ التي قد أخذت عليه منها:

• وصفه للفتوحات الإسلامية في جنوب فرنسا وسويسرا بأنها قد سببت الدمار والتخريب لهذه البلاد، وهذا ما قاله في فصله الأول من كتابه: "تمكن المسلمون خلال القرن التاسع الميلادي من فتح صقلية في الغرب، واتخذوا مواقعهم في جنوب إيطاليا، حيث ألحقوا سنة ٩٨٢م هزيمة نكراء بالإمبراطور الروماني أوتو الثاني، وأوقعوا الدمار في جنوب فرنسا وسويسرا، وكانوا ينطلقون على هذه المناطق من قواعدهم على شواطئ بروفانس". وهذا بالطبع لم يكن جد صحيح، فكيف لأمة كان لها هذا الكم الهائل من الحضارة في بلاد الأندلس وغيرها، وانتشرت علومها وأدابها في كافة أنحاء العالم، بحيث تعلم منها هؤلاء الأوروبيون أنفسهم، ونقلوا عنها علومها، أن يكون هذا حالهم أثناء فتوحاتهم، وماذا يسمي إذن الهجمات الشرسة للشعوب الجرمانية، وغزؤهم لبعضهم البعض، وما يلحقونه من سلب ونهب؟!

• مما يعاب على "ماير" أيضًا: أن يذكر أن خلافًا قد وقع في الإسلام بين السنة والشيعة وهو خلاف ديني - دون أن يتحقق من هذا، إذ لم يدرك هنا أن الخلاف بين السنة والشيعة كان خلافًا سياسيًا وليس دينيًا في العقيدة أو السنة، على من له حق تولية الخلافة.

• أضف إلى ذلك عدم وضع "ماير" هوامش للتعريف بالأماكن والمدن والبلدان والشخصيات المعروفة وغير المعروفة.

• انسياق "ماير" وراء المصادر الغربية، خاصة تلك التي وصفت المسلمين بالكفار دونما أن يحدد ذلك في كتابه أو يعلق عليه. وقد جاء هذا في الفصل الثاني من كتابه، حيث ذكر ما نصه: "إذا لم يكن المقصود من الحملة الصليبية، كما قال عنها أوربان مساعدة المسيحيين في الشرق، ولو أن الهدف غير مبرر في حقيقة الظروف إلا أن هدفًا أكثر تحديدًا نشأ عن هذه الدعوة ألا وهو تحرير الأراضي المقدسة .. من يد الكفار". وفي موضع آخر يقول: "ينوه البابا بوجود التوجه إلى هناك (أي إلى الأراضي المقدسة) لمقاتلة الكفار الذين امتلكوا تلك المدينة وأرض المسيحية بأجمعها وبلغوا القسطنطينية.

• يُعاب على "ماير" كذلك تكراره لبعض الأحداث كمسألة الميراث عند الصليبيين التي يتكلم عنها في الفصل الثاني من كتابه ثم يعود للحديث عنها مرة أخرى.

• يؤخذ على "ماير" أنه برغم التفصيلات الكثيرة التي نراها في ذكره لأحداث الحملات الصليبية، إلا أننا نجد أنه قد تحدث باختصار شديد عن مرور الحملات بشبه جزيرة البلقان - خاصة مملكة المجر وبلغاريا والأراضي البيزنطية وصولاً للقسطنطينية سواء عن الطريق البري المعروف باسم بلجراد

القسطنطينية أو عن طريق اجناتيا المار بالبحر الأدرياتيكي ثم بلغاريا فالقسطنطينية، وما حدث أثناء هذا المرور من اشتباكات وسلب ونهب على تلك الأراضي، وهو ما يبين لنا أكثر طبيعة هذه الحملات من أنها لم تأتي لتخليص القدس من أيدي المسيحيين الغاصبين على حد زعمهم، بل لغرض اقتصادي والطمع في ثروات الشرق، والدليل على ذلك أفعالهم الوحشية بإخوانهم في المسيحية الفاطمية بشبه تلك الجزيرة.

• مما يؤخذ على "ماير" كذلك أنه كان في بعض الأحيان يميل إلى تصديق القصص والخرافات، ونقله من النصوص دونما تحليل، ومثال ذلك، ما جاء لديه في الفصل الثالث من كتابه حيث يقول: "وتبعًا للقصص فقد تزوجت "إيدا" - (وهي كوثيسة نسواوية جاءت إلى الشرق الإسلامي وبعض الصليبيين على إثر احتلال الأخير للقدس، وقد هاجمها السلاجقة وقيل أنها أسرت أو قتلت) - أميرًا عربيًا وهي أم زنكي ألد أعداء النصارى في حين أنه كان على تيمو أن يصلح صنمًا إسلاميًا". وهذا قول خاطئ لما يروى ولا يمت للحقيقة بصله، إذ لم يعلم أن عماد الدين زنكي كان في هذه الفترة (أي فترة مجيء أيدا للشرق) شابًا يافعًا، كذلك لم يفسر لنا "ماير" من هو "تيمو" الذي كان لا بد له من أن يصلح صنمًا إسلاميًا، وهل يعرف "ماير" أن المسلمين كان يصلحون الأصنام في ذلك الوقت، إذن هذا الكلام غير منطقي بالمرّة. حتى أننا نرى أن مترجم الكتاب يرد عليه في هذه النقطة في الفصل الثالث نفسه بالقول: "إن هذه الأسطورة لها علاقة بالتصورات الخاطئة عن الإسلام والتي كانت شائعة في أوروبا، وبال عقلية الأوروبية الخاضعة للخرافات".

• نلاحظ أن "ماير" في الفصل الحادي عشر من كتابه، يشبه الإمبراطور فردريك الثاني بأنه تلميذ محمد، فهل يعلم "ماير" أن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلميذ من النصارى يتعلم على يديه، ثم يكذبه، ويكون نصرانيًا، ثم يدعيه ابن الكنيسة المحبوب بعد ذلك. فإننا نقول أن "ماير" وإن كان يريد أن يعبر لنا عن مدى العلاقة الحميمة التي جمعت بين الإمبراطور فردريك الثاني، وبين الملك الكامل محمد، فليس من المفروض عليه أن يبالغ في هذا التشبيه لحد المبالغة هذه، وإن العلاقة التي ربطت الملك الألماني بالملك الكامل ما هي إلا علاقة قد نشأت في ظروف طارئة اتهم فيها حتى الملك الكامل بالخيانة لأنه قد انصاع لفردريك وسلمه مفاتيح القدس، إنقاذًا لموقفه في الأوساط الأوروبية وقرار الحرمان الذي صدر ضده.

خلاصة القول: إن كتاب "تاريخ الحروب الصليبية" للمؤرخ الألماني: "هانس إبرهارد ماير" يعد من الكتب ذات القيمة الكبيرة برغم ما فيه من ملاحظات، لأنه يعبر عن صورة الحروب الصليبية في أعين أحد المؤرخين الألمان، ولما يحويه من معلومات غاية في التفصيل الكثيرة، ولا يبعث على الملل لأنه قلما تجد كتابًا يسرد لنا هذه الوجهة الغربية وتغطي كل هذه الفترة الهامة من فترات تاريخ العصور الوسطى، وبخاصة تاريخ الحروب الصليبية.